مظاهر العمران لأهل الذمة "صياغة إسلامية"

حارة اليهود بالقاهرة نموذجا وتطبيقاً بوثيقتين قبطيتين (في النصف الأول من القرن ١٣ هـ/ ١٩م) دراسة آثارية عمرانية

د. فتحي عثمان إسماعيل

مدير عام بالمجلس الأعلى للآثار

العمق الحضاري بإطار تاريخي موقعًا لحارة اليهود "بنسق الدور الإسلامي":

أولاً: العمق الحضاري بإطار تاريخي:

١- مقدمة

وقع اختيارنا على وثيقتين قبطيتين بصياغة إيقاف مكانين بحارة اليهود- قسم الجمالية[١] بالقاهرة، وذلك على أماكن دينية مسيحية بمصر القديمة، فالوثيقة الأولى مؤرخة بالرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ١٢١٤هـ/١٧٠٠م[٢]، والثانية مؤرخة بالتاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م[٣]، أي ترجعان إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وهي الفترة الزمنية التي يتناولها بحثنا.

وباستقراء الوثيقتين المذكورتين نجد التوزيع العمراني للتنظميات العمرانية بحارة اليهود تعود إلى النشأة الأولى منذ العصر الفاطمي من جهة، وجاء ذلك التوزيع على نسق التراتب الطبقي الاجتماعي المغلف بالطابع الديني (ربانيين – قرائين – سامريين) من جهة أخرى، وقد دللت الوثيقتان على خاصية النمط العمراني الاجتماعي من حيث إبراز العلاقة العضوية بين التنظيمات العمرانية من دروب وأزقة، والظواهر العمرانية الدينية والمدنية، والخيرية، والاجتماعية، والاقتصادية بتلك الحارة، وذلك

بإضفاء مسميات الأعلام، أو الطوائف، أو الظواهر على التنظيمات، مما أوجد ارتباطاً وثيقاً بالعمران التراكمي مشمولاً بالنسق الحضري الإسلامي في ضوء ضوابط سياسية وإدارية شأن ما يوجد في المدينة الإسلامية[٤].

٢– استقرار اليهود بالقاهرة

وما حارة اليهود في القاهرة الفاطمية إلا بمثابة الوعاء الذي استوعب اليهود، حيث استقروا في حارة الجودرية[٥]، إحدى حارات القاهرة وذلك بأعداد قليلة إذا ما قورنت بأعدادهم الكثيرة التي كانت قد استقرت في مدينة الفسطاط[٦]، وإذا كانت أول إشارة لوجودهم بتلك المدينة ترجع إلى عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م[٧]، فإن وجودهم كان بحارة الجودرية المذكورة المتاخمة لحارة الوزيرية المنسوبة للوزير "يعقوب بن كلس" الذي كان يهودياً قبل إسلامه، وقد انتهى وجودهم في حارة الجودرية في فترة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦هـ–٤١١هـ) (٩٩٦م – ١٠٢١م) الذي وصل إلى مسامعه من أن اليهود يجتمعون في أوقات خلواتهم وسمرهم ينشدون:

وأمه قد ضلوا ودينهم معتل قال لهم نبيهم نعم الأدام الخل

وبهذا يسخرون من المسلمين، ويستهزئون بنبي الإسلام، ويخوضون في ديانة الإسلام، ويتعرضون مالا ينبغي سماعه، مما اضطر الحاكم بأمر الله إلى الانتقام منهم[٨]، حيث خالفوا بذلك أحد شروط أهل الذمة في عدم ازدراء، أو ذكر نبي الإسلام بسوء أو تكذيب، وعدم ذكر الإسلام بذم له ولا قدح فيه، ومن يخرج عن ذلك يعد ناقضا للشروط المستحقة (أي العهد[٩])، فكان هذا دافعاً إلى قيام الحاكم بأمر الله بسد حارتهم عليهم ليلاً وإحراقها، فامتد الحريق إلى كنيستهم بحارة الجودرية، وأصبحت خرابًا، ثم منعهم من السكن والمبيت بتلك الحارة، وأفرد لهم مكاناً بحارة زويلة[١٠] للإقامة بها[١١] وأمرهم بعدم مغادرتها، وألا يخالطوا المسلمين في حاراتهم[١٢].

ولما كان اليهود بحارة الجودرية قد استقروا في نطاق عمراني محدود فالأمر ظل كما هو في نطاقهم العمراني المحدود أيضًا بما يعرف بزقاق العاشورية[١٣] في العصر الأيوبي، مما يؤكد لديهم ثقافة الانعكاس الاجتماعي في المظهر العمراني منذ أن شملهم الحاكم بأمر الله الفاطمي بتسامحه وعدله، فأمر بإعادة تعمير معابدهم، ومنها معابدهم بحارة زويلة[١٤]، التي استوعبت خلال العصرين الأيوبي والمملوكي التوافد البشري المضطرد لليهود.

لقد أتى إلى مصر علماء اليهود، والحرفيين، والمهنيين من الأندلس، وشمال إفريقيا، وفلسطين، والعراق، وفارس، ومن ثم اتسعت الشريحة السكانية اليهودية بحارة زويلة، فسكنها أهل الطب، والصناعة، والتجارة منهم، وصار زقاق العاشورية بمثابة بؤرة "التبرعم العمراني" لعمران بشري متكاثف نتيجة التواتر المتلاحق من جراء الهجرات اليهودية، وتغلغل الوجود اليهودي في دروب وأزقة حارة زويلة التي أطلق عليها فيما بعد حارة اليهود التي اقترنت بمسمى حارة زويلة، فكل منهما يشير إلى الآخر بالإطار التاريخي والاستدلال العمراني حتى في العصر العثماني وما بعده، وهذا ما ترددده وثائق ذلك العصر وما يليه من فترات، وخير دليل على ذلك، ما ذكر في الوثيقتين موضوع بحثنا بالمقارنة مع مثيلاتهما دون إغفال البعدين المكاني والزمني.

٣- النطاق العمراني لحارة زويلة "حارة اليهود": (اتساعات وتفرعات)

ذكرنا أن اليهود قد اتخذوا من الفسطاط بمنطقة الحصن الروماني (قصر الشمع) مقاماً لهم، وتغلغلوا في دروبها وأزقتها بالاندماج الاجتماعي مع المسلمين والمسيحيين، وأنشأوا معابد لفرقهم، وعاشوا في صورة من حسن الجوار والتعايش المشترك بين كافة الطوائف الدينية في ذلك الوقت[١٥]، وفي ضوء التسامح الإسلامي ومن قبل ولاة مصر، وأمراء الدولتين الطولونية والإخشيدية، ومارسوا حياتهم في

إطارها الطبيعي، ودخلوا في سلك الجهاز المالي والإداري في الدولة الإخشيدية، وتواصل صعودهم في العصر الفاطمي.

وقد استقروا في حارة الجودرية الصغيرة – كما أشرنا– كجزء من حارة الجودرية الكبيرة[١٦]، وتلك التنظيمات العمرانية ملاصقةً لحارة الوزيرية الخاصة بطائفة الوزيرية المنسوبة إلى الوزير الأجل[١٧] يعقوب بن كلس الذي كان يهوديًا وأسلم، واستوزره العزيز بالله الفاطمي، ومن ثم شعر اليهود الذين أتوا من الفسطاط وسكنوا بالجودرية الصغيرة بالأمان لمجاورتهم ليعقوب هذا ودار وزارته بالوزيرية من جهة، ووجود "منشا اليهودي" و"عيسى بن نسطورس النصراني" على قمة مناصب الدولة الفاطمية، حيث استأثرا بخدمة بني جلدتهم على حساب المسلمين[١٨]، من جهة أخرى مما وَطَّدَ من استقرارهم بالجودرية حتى تم حرقها كما ذكرنا على يد الحاكم بأمر الله الفاطمي.

وحينما بدءوا في الاستقرار – بناءً على أوامر الحاكم بأمر الله– بحارة زويلة بنفس الإطار العمراني المقنن (زقاق العاشورية)، صار وجودهم بعمران المشاركة مع ماوجد من عمران إسلامي، فاصطبغ المكنون العمراني لأهل الذمة (يهودًا ومسيحيين) بالاصطباغ الإسلامي، من خلال توقيع الظواهر العمرانية من معابد يهودية وكنائس مسيحية خلال التنظيمات العمرانية من دور وأزقة توزعت عمرانياً على النطاق العمراني لحارة زويلة التي يسلك إليها من سوق الصيارفة، ومن خط الخرنفش، عند باب سوق السمك، ومن شارع خميس العدس، ودرب الصقالبة المسلوك إليه من الزقاق الذي على يسار المار من شارع السكة الجديدة من جهة قنطرة الموسكي[١٩].

وهذا النطاق العمراني لحارة زويلة التي غصت باليهود عرفت بحارة اليهود، قد بدأ بزقاق اتسع عمرانيًّا في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي لتصبح حدوده:

من الشمال: شارع الخرنفش- ومن الجنوب: شارع الصقالبة، ومن الشرق: حارة اليهود القرائين وحارة خميس العدس، ومن الغرب: شارع زويلة ودرب الكتاب، وهذا ما يعرف حاليًّا بحي اليهود الذي بلغ طوله كيلو متر مربع بنهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي [انظر شكل رقم (١)].

وداخل تلك الحدود لحارة زويلة أربعة أقسام: حارة زويلة، حارة الربانيين، حارة القرائين، ودرب الصقالبة، انتظمت جميعها عمرانيًّا فيما يطلق عليه "حارة أو حي اليهود" يغلق على كل حارة باب يحتويها حارة واحدة اتسعت وتفرعت إلى ما يقرب من ١٢ حارة وزقاق، وتتصل بما يجاورها بسبعة منافذ، وتجاور شارع الموسكي وخان الخليلي والصاغة وحي الحسين رضي الله عنه[٢٠]، وفصلت عن شارع الحمزاوي بدرب سعادة[٢١]بواسطة شارع الأزهر عند شقه.

وانتظمت أنساق سكانية من الطوائف الثلاثة: الربانيين، القرائين، السامريين بدالات إحصائية سجلت ما بين ألفين أو ثلاثة آلاف يهودي في القاهرة، حظيت حارة اليهود بالنصيب الأوفر من تلك الدالة[٢٢] التي دونت سجلات محاكم القاهرة أعلى نسبة من الدالة الإحصائية لليهود الربانيين، ثم القرائين، فالسامريين بحارة اليهود، وما يؤكد هذا أماكن العبادة لكل منها في تلك الحارة، ومدى تردد أسماء الموسرين والحرفيين والمهنيين في الوثائق والمصادر التاريخية، وهذا ما أكدته الوثيقتان القبطيتان موضوع بحثنا مع دلالات الوثائق الأخرى المعاصرة.

٤- موقع النطاق العمراني لحارة اليهود وأثره على العمران

كان لوقوع حي اليهود – حارة اليهود- بعمرانها وحدودها النهائية على الخليج المصري وذلك بالإطلالة عليه، إلى جانب متاخمته لحي الصاغة حيث التمركز الحرفي والمهني ووفور العمران والعمارة أدى إلى:

- التوافد البشري سواء بالتوطن بالحارة (مأوى وقرار عمراني معماري دائم)، أو توافد مؤقت (حرفي ومهني)، ومن ثم كان هناك وجود حيازة تملك، أو أيلولة إيجارات لأماكن يغلب عليها الطابع الاقتصادي لاستيعاب كل من خصوصية التوطن، أو التوافد المؤقت على تلك الحارة سواء من قبل المسلمين أو المسيحيين أو اليهود.
- وجود عمران حضري بيسر الارتفاق من ماء الخليج المصري سواء للعمائر الدينية من مدارس، ومساجد، وزوايا إسلامية، أو معابد يهودية، أو كنائس مسيحية، أو للعمائر المدنية والخيرية، والصناعية، والاجتماعية.
- وجود عمران رفاهي بدلالة التفرج على الخليج المصري، وإقامة الاحتفالات في المناسبات والأعياد الدينية والقومية.
- وجود عمران اقتصادي باعتباره ممرًا مائيا للقاهرة متفرعا من نهر النيل، وأقيمت على ضفة ذلك الخليج المصري المنشآت ذات الطابع الاقتصادي من طواحين وغيرها، وتلك الدلالات نرى منها ما هو يتردد في سياق الوثيقتين موضوع بحثنا بما يؤكد قاعدة توارث أهمية الموقع والموضع عمرانًا وعمارةً بالاصطباغ الإسلامي [انظر شكل رقم (٢)].

ثانيا: مظاهر العمران لأهل الذمة– بحارة اليهود وتواصله بالصياغة الإسلامية

تعددت مظاهر العمران بتلك الحارة باكتمالها وتطورها عمرانيًّا ومن هذه المظاهر:

١– مظهر العمران البشري

يعبر هذا المظهر بمضمون الانثروبولوجيا الاجتماعية حيث تواتر إلى تلك الحارة سلالات من شرق العالم الإسلامي وغربه، إلى جانب ما توافد عليها من أوروبا بحكم

علاقات عديدة يأتي على رأسها المعاملات والمبادلات التجارية، ومن الدول الإسلامية التي أتى منها هؤلاء اليهود تركيا وخاصة مدن استانبول، وساقس "ساقز"، وبولية "بولي"، وبردقيس أو "برتقيس"[٢٣]، وقد ذكرت بردقيس "برتقيس" – كإحدى المدن الصغرى التي توافد منها اليهود، في ثنايا الوثيقة الأولى بنص "والمكرم خليفة بن المرحوم عبد الله البردقيسي"[٢٤].

وقد دللت وثائق سجلات المحاكم بالقاهرة والأقاليم على ما توافد عليها وعلى حارة اليهود من يهود المغرب، وتركيا، وباكستان، والعراق، وإيران، والشام، وأوربا[٢٥]، وبالتالي كان لا بد من الاتساع العمراني لاستيعاب هذه الهجرة من الخارج إلى جانب ما كان مستقرًا من المسلمين والمسيحيين واليهود، وما يتوافد عليها من أقاليم مصر وأحياء القاهرة المتاخمة والمجاورة، مما خلق لنا أنساقاً بشرية ارتبطت حضاريا بالتنظيمات العمرانية بالحارة المذكورة.

٢– مظهر العمران الديني والخيري والمدني:

لإظهار هذا المظهر كان لا بد من توظيف نصوص المصادر التاريخية، وما جاء في النص الوثائقي بكل من الوثيقتين موضوع بحثنا لتأكيد الترابط المنهجي لذلك البحث، فمظهر العمران الديني: نجده فيما أنشئ من مساجد، ومدارس، وزوايا، ومعابد يهودية، وكنائس مسيحية بحارة اليهود، فمن العمائر الإسلامية، مدرستا العاشورية، والقطبية، برحبة كوكاي[٢٦]، إلى جانب جامع القريميطية، ويقع برأس حارة القرائين، وأنشأه القاضي بركات بن قريميط، الذي رتب له وقفًا للإنفاق عليه، والمسجد المعلق الذي أنشأه السلطان الغوري بدرب النصير برأس حارة زويلة[٢٧].

هذا بالإضافة إلى زوايا إسلامية ثلاث من العصر العثماني تقع بحارة اليهود وهي زاوية الشيخ أبي العيون سنة ١٠٤٢هـ/١٦٣٢م، والثانية زاوية الشيخ عبدالله الأنصاري سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣، والثالثة زاوية الشيخ أحمد الشهابي بن

عبد الرحمن الجيعان سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م، وتعبر تلك الزوايا عن ثقافة التصوف للمسلمين[٢٨] الذين عاشوا جنبًا إلى جنب مع اليهود والمسيحيين بتلك الحارة، ولتلك المدارس، والمساجد، والزوايا، ارتباط حضاري ودليل على المظهر العمراني الإسلامي الذي أثر بدوره بصبغة البيئة الإسلامية على عمران أهل الذمة من خلال إثبات الوجود الإسلامي بظواهره العمرانية بحارة اليهود.

والمظهر العمراني الديني لأهل الذمة يكمن في وجود كنائس مسيحية ومعابد يهودية، فمن تلك الكنائس المسيحية بحارة زويلة – حارة اليهود- دير وكنيسة السيدة العذارء[٢٩]، وكنيسة أبي سيفين، وكنيسة مارجرجس، وأقدم تلك الكنائس كنيسة السيدة العذراء التي شيدت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٣٠]، وتلك المجموعة المعمارية شكلت لنا منظومة عمران بالخرنفش، حيث أطلق على التنظيم العمراني الذي احتواها "حارة النصارى"، وذلك خلال العصر العثماني كما دللت لنا على ذلك الوثائق وسجلات محكمة الدرب الأحمر، وما ذكر في إشارات علي مبارك[٣١].

وقد أكدت لنا ذلك الوثيقتان القبطيتان موضوع بحثنا على المظهر العمراني الديني المسيحي بحارة زويلة[٣٢] "حارة اليهود".

وإذا كانت الكنائس المسيحية بحارة الخرنفش – حارة النصارى- كمظاهر عمرانية دينية بإحدى التنظيمات العمرانية من حارة اليهود الأم، فإن تلك الحارة الأم قد انتظم بها من المعابد اليهودية معبرة – في ظل التسامح الإسلامي- عن المظهر العمراني الديني لليهود، فقد سجلت الإحصائية وجود كنيسين بحارة زويلة للقرائين[٣٣]، أحدهما يعرف بـ "ابن شميخ"، كما يوجد اثنان للربانيين[٣٤] بالحارة نفسها، عُرفَ الأول باسمهم، والثاني باسم "كنيس دار الحدرة"، أما طائفة السامريين

فكنيس واحد بحارة زويلة – حارة اليهود أيضًا، مما يدلل على أن تلك الطائفة سجلت دالة إحصائية منخفضة عن الطائفتين المذكورتين[٣٥].

عوامل ازدهار مظهر العمران الديني لأهل الذمة بحارة اليهود (دينيًّا وإداريًّا وسياسيًّا):

حينما نظمت الدولة العثمانية أمور أهل الذمة فيما يسمى "ملة" "مللت نامة"، وكان المسيحيون واليهود من أهم الطوائف الذمية إلى جانب الطوائف الإسلامية، ومن ثم فقد حددت الدولة العثمانية موقفها تجاه الطوائف الذمية من خلال مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية – طبقاً لأحكام المذهب الحنفي، وكان لكل ملة رئيس ديني ينظر في المسائل الدينية يسمى "ملة باشى" ويقوم مستعيناً بالفصل في قضايا الأحوال الشخصية باتباع ملته[٣٦].

وحرص السلطان سليمان القانوني – المشرع– (٩٢٧هـ– ٩٧٤هـ/١٥٢٠م– ١٥٦٦م) على احترام التقاليد الدينية وتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية، ومن ثم فقد وضع "قانون نامة" حيث استمده في الواقع من أصول التشريع الإسلامي من خلال العبارة "قانوننا من سلطان كي شريعي شريفي موافقاتي محرر أولوب" أي (القانون نامة السلطاني الذي يتفق مع الشريعة)[٣٧].

من خلال ما تقدم نجد دلالتين هما:

- بالفتوحات الإسلامية العثمانية لأقاليم مسيحية بأوربا، انضمت إلى الإمبراطورية العثمانية؛ مما أدى إلى التنظيم الطائفي لمذاهب مسيحية وطوائف يهودية حيث تواترت الهجرات إلى مصر وخاصة مدينة القاهرة بأخطاطها وحاراتها، فكان لا بد من إحكام إداري سياسي قانوني لتلك الطوائف فصار التنظيم المذكور، فانتظمت العناصر البشرية، فقد سجلت حارة اليهود الوجود اليهودي المغربي – الشرقي – الإفرنجي، بالإضافة إلى

الوجود المسيحي الوطني– الإفرنجي أيضًا، فزادت حركة العمران الحضري والاجتماعي، وانصبت بالتالي على مظاهر العمران الديني بتشييد المزيد من الكنائس والمعابد.

- في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية المستمد منها تنظيم الملل (كرعايا داخل القاهرة)، وكذلك قانون نامة المذكور، أتى العمران بأنماطه كافة بتلك الحارة بقاعدة المشاركة والتباعية للنسق العمراني الإسلامي بما يتطابق وأصول الشرع الحنيف من حيث:

– مراعاة شروط الاستحقاق والاستحباب إلى جانب ما ذكر في القوانين السابقة في العمارة والعمران باحترام خط تنظيم الشارع عند البناء، ومراعاة الخط الأفقي في الارتفاع بعدم العلو عما يجاوره من عمائر سواء دينية، أو مدنية طبقًا لقاعدة (لا ضرر ولا ضرار) حتى لو كان الارتفاع بالعمائر رأسيًا، فكان لا بد من التساوي أفقيًا مع ما يجاورها، أو يلاصقها، أو بقائها من عمائر، مع تمايز العمائر الإسلامية بالارتفاع كما هو معتاد.

– احترام حيازة الملكية الخاصة لأهل الذمة (مسيحيين ويهودًا) حتى لو كانت أرضاً جارية في أوقاف المسلمين، طالما حدث استبدال، أو بيع من قبل ناظر الوقف (المبدل) إلى مستبدله كما حدث في حالة استبدال وقف إسلامي من قبل ناظر الوقف عبد الخالق الزيني إلى جهة وقف دير أبي سرجة بمصر القديمة [انظر الملحق رقم (١) واللوحة رقم (١)]، أو بائعه، كما في حالة وقف الأمير طيبرس العلائي الذي صار في عمارة معبد القرائين داخل خوخة كنيسة القرائين[٣٨]، أو بيع من وقف الأمير المذكور الجاري لمدرسته بالجامع

الأزهر، ثم أوقف على أماكن دينية مسيحية، مثل ديري مار جرجس بناحية طرة، والبنات بمصر القديمة[٣٩] [انظر الملحق رقم (٢)، واللوحة رقم (٢)].

وكان نتيجة ما توافد على الحارة من يهود ومسيحيين من مختلف الجنسيات، والأقطار أن سادت مظاهر العمران طبقاً لما ذكرنا، فكثرت المعابد والأديرة التي أُوجِدَت مع ما كان موجوداً من جراء ذلك التكاثف البشري لأهل الذمة، في ضوء الضوابط الإدارية والسياسية، فقد سجلت الإحصائية من خلال الوثائق: سبعة معابد للمصريين والإفرنج والمغاربة والأتراك، موزعة توزيعًا عمرانيًّا إشعاعيًّا، إلى جانب أربع قاعات[٤٠] تحولت إلى بيع صغيرة تعبدية يهودية توزعت توزيعًا عمرانيًّا شبكيًّا.

وهذا التوزيع النوعي إنما أتى من تطور عمراني لسلسلة من الدروب والأزقة متداخلة، وتناسقت عمرانيًّا مع الكنائس المسيحية بحارة زويلة بحيث شكلت تلك الكنائس مع الأماكن الدينية والمدنية لليهود والمسلمين توزيعاً ذات نمط مديني إسلامي بدلالة الشارع الرئيسي (الشارع الأعظم) بحارة – حي اليهود- بالتناظر والتقابل العمراني لحارات القاهرة الإسلامية عامة التي بها نفس منظومة الشارع الرئيسي.

لقد عبرت الوثيقتان القبطيتان عن تنظيمات وظواهر عمرانية دينية ومدنية، وخيرية منها:

حارة اليهود- درب الكتاب[٤١]- الدرب غير (الزقاق)- درب الذهبي- دير أبي سرجة بمصر القديمة (بالارتباط الوقفي الوثائقي)[٤٢]، قاعة بدرب الكتاب- حارة اليهود- درب الأسود الكبير- حارة السامرا، مترل بدرب الأسود الكبير، وقف طيبرس العلائي[٤٣]، دير مارجرجس بطرا، ودير البنات بمصر القديمة (بالارتباط الوقفي الوثائقي أيضًا).

٣- مظهر العمران الاجتماعي

يتجلى هذا المظهر في إنشاء الحمامات بحارة اليهود بدلالة وجود ثلاثة حمامات[٤٤] بها كصدى للعمران الإسلامي بالقاهرة عامة، حيث كانت حمامات القاهرة مفتوحة أمام الجميع بمن في ذلك اليهود والنصارى، مما يدلل على التسامح الإسلامي تجاه أهل الذمة، وكانت حمامات حارة اليهود من التمدن والحضارة بيسر الارتفاق من الخليج الحاكمي (المصري) مما أعطى التلازم، ويطلق على ذلك عمران التضام، ويتضح المظهر الاجتماعي أيضاً بما كانت تقوم به الحمامات من إدخال السرور والبهجة على العروس، والاحتفال بالزواج، بالإضافة إلى ما كان للخليج من دور اجتماعي لدى أهل الذمة بالمشاركة مع المسلمين حيث كانت أعيادهم ومناسباتهم تعبر عن جو المودة[٤٥]،وهذا من قبيل التأثير والتأثر منذ العصر الفاطمي، وخاصة بالمولد النبوي الشريف.

٤- مظهر العمران الثقافي

قام الكُتَّاب إلى جوار المعبد في تعليم وتثقيف النشء اقتداءً بما كان سائدًا في الكتاتيب التي كانت تعلو الأسبلة الإسلامية، فهناك الكتاب الذي كان يقع بدرب الكتاب بحارة الربانيين[٤٦]، كما دللت على ذلك الوثيقة الأولى من وثيقتي البحث، إلى جانب استئجار بيتاً بزقاق بالدرب المظلم بحارة زويلة لكي يقوم بمقام الوظيفة الدينية للمعبد والتعليمية كمكتب للأطفال[٤٧]، كما يوجد أيضًا بيت آخر بحارة السمرة لمدة طويلة أوقف مكتباً[٤٨].

٥- مظهر العمران الاقتصادي

يتضح هذا المظهر في وجود عمائر صناعية وتجارية بحارة اليهود كالمطاحن والأفران، وقاعات اُستُخدِمَت للطحن، أو للغربلة، أو كمعجنات، والأسواق، إلى جانب والحرف والصناعات والمهن الأخرى، وهذا من ضروريات العمران ودواعي

الحياة اليومية، فكانت بعض الطواحين تطل على الخليج المصري إلى جانب وجود أفران بداخل الحارة كفرن لعمل الفطائر للأعياد اليهودية، إلى جانب إنتاج الأخباز للسكان من مسلمين ويهود ومسيحيين، إلا أن هناك لزومية العمران الداخلي للكنائس بوجود أفران خاصة لإعداد خبز القربنة، وسواء أكانت أفرانا عامة أم أفرانا خاصة كان لا بد من توافر شروط صحية عدة طبقاً لضوابط إدارية ودينية بدلالة سلطة الاحتساب (المحتسب وأعوانه)، من تلك الشروط:

- توزيع الأفران على الدروب لما فيها من النفع وحاجة الناس إلى أخبازها، وذلك بشروط صحية من خلال رفع سقائف حوانيتها، وفتح أبوابها، وجعل لها منافس (فتحات) واسعة في السقوف لخروج الدخان منعًا للضرر ومداومة إصلاح مداخنها.
- مراعاة الصحة العامة لمن يقوم بإعداد الخبز من الخبازين مع مراقبة جودة الدقيق وعمل الدقاق ووضع ضوابط لمراحل إعداد الخبز[٤٩].

أما الأسواق فكانت هناك أسواق بها موفور السلع إلى جانب أسواق مبعثرة (سويقات) تتخلل الدروب، منها سويقات سويقة الحمالين[٥٠] بحارة اليهود، وسوق الصيارفة، وسوق القماشين، وكانت تلك الأسواق صدى لحرف ومهن تجارية وصناعية كالعسالين والفرانين والصباغين والجيارين، بالإضافة إلى مهن وحرف أخرى يغلب عليها طابع الاستثمار، كالدلالين في العقارات[٥١].

وللأسواق محتسبها وعرفاؤها، إلى جانب الأعوان من الشرطة، كما لعبت الطوائف العسكرية دورها المهم في الضبط الإداري والاجتماعي والاقتصادي، ممثلةً في "الصوباشي" الخاص بالضبط، "ومقدم الدرك"، وغير هؤلاء الذين قاموا بدخول الميدان الاقتصادي مثل "عبد الخالق الزيني جوربجي الذهبي"[٥٢]، مع وجود الصيارفة مثل المعلم خليفة ولد داود اليهودي، وإسحاق بن العسال الدلال في العقارات،

والمعلم سليمان بن باسوم، والمعلم خليفة بن عبد الله الدلال أيضاً في العقارات، إلى جانب عائلات مسيحية كان لها صيت في الأمور المالية والإدارية، مثل عائلة الجوهري التي ملكت الزمام، منهم إبراهيم الجوهري وأخوه جرجس.

النتائج:

- أوضحت الدراسة العمق الحضاري لاستقرار اليهود سواء بالجودرية أو بالإحالة إلى حارة زويلة – حارتهم بالقاهرة– كما أبرزت التجاور العمراني للمسلمين من جهة ثم المسيحيين فيما بعد من جهة أخرى، مع التوضيح للنطاق العمراني لحارتهم، وحدودها وأثر الموقع على جوانب عديدة بالعمران بها.

ولتوضيح جوانب عدة من العمران قمنا بنشر وثيقتين قبطيتين –لأول مرة– مشتملتين على موقوفات إسلامية لأمراء مماليك بحارة اليهود لإبراز تواصل مظاهر العمران بتلك الحارة في ضوء الارتباط الحضاري بالعمران الحضري الإسلامي المشمول بضوابط إدارية وسياسية ودينية وقانونية، كان مردوده على المظاهر العمرانية لأهل الذمة بالحارة المذكورة ضمن حارات القاهرة في ضوء قاعدة أن الجزء قانون أساسي للكل عمرانًا وعمارةً.

- أبرزت الدراسة العمران النوعي من إشعاعي وشبكي بدلالة الشارع الأعظم بحارة اليهود وبإسلوب مقنن صار معه إبراز اعتبارات وضرورات منها مراعاة البعدين الأفقي والرأسي بالجوار، أو بالتلاصق، أو بالتقابل، أو بالتناظر العمراني للمسلمين والمسيحيين في ضوء شروط الاستحقاق والاستحباب لأهل الذمة في المدينة الإسلامية.

- أكدت الدراسة من خلال استقراء الوثيقتين المذكورتين على تواصل الأنساق العمرانية على أرض موقوفات إسلامية بصياغتها بالارتباط الوقفي والوثائقي بالاستبدال أو البيع، وذلك بالوقف والصرف من ريعها على أماكن دينية مسيحية مثل دير أبي سرجة بمصر القديمة، وديري مارجرجس بناحية طره، والبنات بمصر القديمة بدلالة الفقه الإسلامي بمشروعية إيقاف موقوفات من قبل أهل الذمة، وإن كان البعض يخالف ذلك، ومن ثم كانت المفردات الوثائقية بالوثيقتين بمثابة مؤكدات موثقة، إلى جانب ما تردد في وثائق سجلات محاكم القاهرة والأقاليم لذلك الجانب الفقهي الإسلامي.
- استعرضت الدراسة بإدماج وتوظيف الوثيقتين بمصطلحاتهما مع ما ذُكِرَ في المصادر التاريخية مظاهر العمران الديني، والمدني، والخيري، والاجتماعي، والاقتصادي، وإظهار طابع المعايشة بإنهاء التقوقع الاجتماعي اليهودي واندماج اليهود بحارتهم ضمن النسيج العمراني، والمعماري بالاصطباغ الإسلامي عامةً.

وقد قمنا بتدعيم البحث بخرائط طبوغرافية عامة إلى جانب الاعتماد على ما جاء بالوثيقتين والوثائق الأخرى وعلى مصادر ومراجع عربية وأجنبية، للتأكيد على الاصطباغ الإسلامي لمظاهر العمران في تلك الحارة، التي جمعت بين المسلمين، واليهود، والمسيحيين في بيئة إسلامية.

الملاحق

الملحق رقم (١)

الوثيقة: موضوعها استبدال

تاريخها: ٢٤شهر المحرم، سنة ١٢١٤هـ/١٧٠٠م.

مكان حفظها: بطريركية الأقباط الأرثوذكس، قسم الجمالية، محفظة ٢، رقم الوثيقة (٢١)، الباب العالي.

مضمون الوثيقة رقم (٢١) باستبدال قاعة بحارة اليهود الربانيين بدرب الكتاب.

المتصرف (المبدل): الزيني عبد الخالق الذهبي بن سليمان جوربجي الذهبي.

المستبدل له: سعد النصراني القبطي ولد المعلم بطرس. وهو المتحدث على وقف دير أبي سرجة بمصر القديمة.

الإيقاف: استبدال لجهة وقف دير أبي سرجة بمصر القديمة.

(نشر الوثيقة)

- بالباب العالي أعلاه الله تعالى وشرفه بمصر المحروسة بعد الإذن الكريم من حضرة سيدنا
- ومولانا شيخ مشايخ الإسلام كمال بلغا[ء] الأنام الناظر في الأحكام الشرعية قاضي القضاة يؤمئذ بمصر المحمية
- البليغ الإمام العلامة الهمام الحاكم الشرعي الحنبلي الموقع خطه الكريم اعلاه دام علاه آمين بالنظر فيما سيذكر فيه
- وقابل ذلك بمزيد من القبول والامتثال فبذلك سلم به بحضرة كل من الأمثل على ابن المرحوم

- عبد الله الدمنهوري والمكرم خليفة بن المرحوم عبد الله البرقوسي[٥٣] والمكرم حسين بن المرحوم حسن المعماري
- والمكرم عبد الله الشاد بالوقف الآتي ذكره فيه بن المرحوم محمد والمكرم أحمد بن المرحوم محمد أبو حجاب
- دام كمالهم آمين والمعلم سليمان بسوم الدلال في العقارات بحارة اليهود ولد المعلم نسيم بسوم واطلاعهم على ذلك
- استبدله المعلم سعد النصراني القبطي ولد المعلم بطرس وهو المتحدث على وقف دير ابي سرجة
- الكاين بمصر القديمة بموجب ما بيده بالطريق الشرعي بما له لجهة الوقف المذكور من مبدله الأمثل المكرم
- الزيني عبد الخالق الذهبي بن سليمان جوربجي الذهبي المرزوق لوالده المذكور من زوجته المرحومة
- رقية بنت المرحوم محمد بن المرحوم حسن جوربجي الذهبي بن المرحوم القاضي أحمد الذهبي الواقف للآتي ذكره فيه
- وهو الناظر الشرعي على وقف حسن جد والدته المرحومة رقية المذكورة والمرحوم القاضي أحمد
- الذهبي المذكور أعلاه بموجب تقريره في ذلك المشمول ما بيد مولانا عبد الله أفندي
- القاضي بمصر سابقا المؤرخ في غرة شهر ربيع آخر سنة سبع ومايتين وألف الآتي
- ذكره فيه جميع خلو القاعة[٥٤] الخربة المستهدمة المشحونة بالأتربة الكاينة بمصر المحروسة بحارة اليهود
- الربانيين بدرب الكتاب بأقصى الدرب الغير نافذ المشتملة القاعة المذكور بالدلالة الاتي ذكرها فيه
- على منافع ومرافق وتوابع ولواحق وحقوق متخربة لها شهرة في محلها تدل عليها وتعبر
- عن شان وصفها وتحديد مكانها المعلوم ذلك به شرعا وعلى ذكره ذلك في الوقف المذكور

- تحت نظر الزيني عبد الخالق الذهبي الناظر المبدل المذكور المومي ذكره أعلاه وذلك باستحقاقه بمفرده
- ما منه لما له النظر عليه نظرا واستحقاقا قايما بذلك لجهة الوقف المذكور بمكتوب الوقف المعروف
- الأوصاف المكتوبة المشهرة المسطرة في محكمة بابي سعادة والخرق بمصر المحروسة في غرة شهر ربيع آخر سنة ثمان ومماية وألف
- جامع لذلك والمعني على معالمه بتفرده بذلك وللناظر فيه المبدل المذكور أعلاه ولاية إبدال ذلك نظير
- مبلغ بدله لجهة الوقف المذكور أعلاه بدلالة ما ذكر أعلاه وبوجه الانتفاع من غير مانع ولا دافع له
- بذكره أعلاه وموقوف ذلك وقفا شرعيا على جهة الوقف المذكور بالانتفاع ذلك المكان للعمارة والمرمة اللازمين
- من ريع الوقف المذكور أعلاه والثابت ذلك لدى مولانا الحاكم الحنبلي المومي إليه أعلاه
- بشهادة كل من المكرم خليفة والمكرم حسين والمكرم عبد الله الشاد بالوقف المذكور أعلاه ثبوتا شرعيا
- وبالتصادق على ذلك استبدالا مرضيا شرعيا وإبدالا صريحا مرعيا انعقد بينهما في ذلك منذ تاريخه.
- بإيجاب وقبول شرعيين وذلك نظير مبلغ البدل عشرة ومماية قدره من الريالات المعاملة المصرية
- وذلك عبرة كل ريال منها تسعون نصفا فضة مساو لكل ريال معاملة مصرية مقبول ذلك من المستبدل
- المكرم من مال جهة الوقف المذكور أعلاه بيد الناظر المبدل المستحق المذكور أعلاه لجهة الوقف المذكور
- أعلاه استحقاقا شرعيا لما لذلك وبماله بحضرة شهوده في ذلك أعلاه
- واعترف المبدل المذكور تسليم ذلك وحيازته لجهة الوقف المذكور أعلاه بالتسلم وحيازة

- الوقف بعد النظر والمعرفة والإحاطة ثبت علمه وخبره نافيا للجهالة شرعا
- وبمقضتى ذلك لجهة وقف دير أبي سرجة الكاين بمصر القديمة المشمول بتحدث المعلم سعد القبطي
- المستبدل المذكور باستحقاق ملك كامل خلو القاعة الخربة وحقوقها
- المذكورة أعلاه ليصرف لجهة الوقف المذكور وذلك بسائر وجوه
- التصرفات الشرعية دون مانع من الناظر المبدل لذلك لجهة الوقف المذكور اعلاه
- بالانتفاع والاستحقاق الشرعيين بالطريق الشرعي بما هو مؤرخ أعلاه تصادقا
- على ذلك كله وثبت الإشهاد بذلك على يد مولانا الحاكم الحنبلي المومي إليه أعلاه.
- بشهادة شهوده ثبوتا شرعيا وحكم بموجب ذلك حكما شرعيا لدى سيدنا ومولانا
- بحر قضاة الإسلام كمال بلغا الأنام الحاكم الشرعي الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه
- شرحه في رابع عشرين من شهر محرم الخير سنة أربعة عشرة ومايتان وألف
- شهوده
- المكرم خليفة المكرم حسين المكرم عبد الله الشاد

الملحق رقم (٢)

الوثيقة: موضوعها شراء منزل مشتمل على قاعة تحوي إيوانين ودورقاعة بالإيوان الكبير منهما خزنة نومية تطل على القاعة يعلوها أغاني، وما إلى ذلك من منافع ومرافق ولواحق وحقوق، كانت جارية في وقف الأمير طيبرس العلائي لمدرسته بالجامع الأزهر.

تاريخها: ١٩ شهر جمادى أول ١٢٣٥هـ/١٨١٩.

مكان حفظها: بطريركية الأقباط الأرثوذكس، قسم الجمالية، محفظة ٢، رقم الوثيقة (٣١)، الباب العالي.

مضمون الوثيقة رقم (٣١) شراء لجهة وقف ديري مارجرجس بناحية طرا، ودير البنات بمصر القديمة.

المتصرف (البائع): الناظر علي الشنواني بن المرحوم الشيشيني.

المشتري: الذمي شنودة النصراني القبطي بطريق وكالته الشرعية عن الذمي بطرس وطائفة النصارى الأقباط بمصر، وهو المتحدث على جهة وقف فقرا الديرين المذكورين.

(نشر الوثيقة)

- بالباب العالي أعلاه الله سبحانه وتعالى وشرفه بمصر المحروسة لدى سيدنا ومولانا
- شيخ مشايخ الإسلامي علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس الأفهام الناظر في الأحكام
- الشرعية قاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه آمين
- بحضرة كل من السيد الشريف محمد بن المرحوم معوض والمكرم مصطفى الفران
- ابن المرحوم أحمد أغات كومللي[٥٥] والمكرم سالم أبو حجاب بن
- المرحوم محمد تابعه دام كمالهم آمين والذمي إسحاق بن العسال اليهودي الدلال في العقار
- ولد الذمي نسيم وولده الذمي يوسف واطلاعهم على ذلك اطلاعا شرعيا

- اشترى الذمي سعد ولد الذمي شنودة النصراني القبطي بطريق وكالته الشرعية
- عن الذمي بطرس وطائفة النصارى الأقباط بمصر وهو المتحدث على جهة وقف فقرا ديري
- كلا من ماري جرجس بناحية طرى[طره] ودير البنات بمصر القديمة سوية بموجب ما بيده بالطريق الشرعي بمال
- جهة الوقفين المذكورين من بايعه الناظر المذكور علي الشنواني بن المرحوم
- الشيشيني وذلك بعد ثبوت توكيل الوكيل في ذلك بشهادة شهوده ثبوتا شرعيا ما منه
- لجهة الوقفين المذكورين جميع منفعه الخلو والسكن والانتفاع والتواجر المدة الطويلة
- بالإذن بالعمارة بكامل المكان المستجد الإنشا والعمارة المعروف سابقا بإنشا وتجديد
- المعلم خليفة ولد داود جودة اليهودي الناظر على ذلك الوقف المشتمل على اسطبل
- وحاصل ورواقين وطبقة الكاين ذلك بحارة اليهود بالدرب الأسود
- الكبير بحارة السمرة[٥٦] ذلك بإشهاد الحجة المشهرة المسطرة من هذه المحكمة المؤرخ في تاريخه
- على ذلك غرة شهر الفرد الحرام سنة أربعة وعشرين ومايتين وألف على باب يدخل منه إلى ساباط[٥٧]
- وواجهة مبنية بالحجر الفحص النحيت[٥٨] بها باب يدخل منه إلى دركاه وباب استثنى يدخل منه إلى قاعة
- تحوي إيوانين[٥٩] ودور قاعة يمنة الإيوان الكبير خزنة نومية[٦٠] مطلة على القاعة يعلوها أغاني[٦١]
- وخزنة نومية ثانية يعلوها أغاني أعلا الإيوان وبصدره طاقات مطلات على الإيوان الصغير وما إلى ذلك من
- منافع ومرافق وحقوق ولوائق الجاري أصل الوقف
- ذلك في وقف المرحوم طيبرس العلائي لمدرسته بالجامع الأزهر المؤجرة ذلك
- بالأجرة المؤجلة قدرها في ذلك في كل سنة ثلث ماية نصف فضة وذلك ما تدل عليه المعلوم

- ذلك بالطريق الشرعي والجاري ذلك في ملك البايع المذكور وبيده وحوزه وتصدقه وإعطائه
- الشرعي وبشهادة شهوده في ذلك ولولاية ذلك المكان بالطريق الشرعي بدلالة ما بيده وإعطائه والتصادق
- على ذلك المكان شرعيا وتصادقا لازما قطعهما وانعقد بينهما في ذلك
- بالإجر بالريالات المعاملة المصرية عبرة كل منها تسعون نصف فضة مقبوض ذلك بيد البايع المومي إليه أعلاه قبضا شرعيا
- وذلك بوكالته عن حضرة الوكيل وصار ذلك لجهة الوقفين المذكورين
- للمباشرة والمعرفة والإحاطة بذلك نافيين للجهالة شرعا
- وبمقضى ذلك شرعا وصار جهة وقف كل من ماري جرجس
- بناحية طرا ووقف مارجرجس بوقف البنات بمصر القديمة المذكورين أعلاه استحقاقا
- لذلك بمنفعة الخلو والسكن والانتفاع بالطريق الشرعي بالعمارة والمرمة
- بكامل المكان المشروح المذكور أعلاه ويصرف ذلك منه في مصالح ومهمات فقرا النصارى الأقباط (بالديرين المذكورين) حسبما يرى ذلك بيد المباشر دون مانع ولا رافع ليد وبإذن
- المذكور بعد كل نفعه وانتفاعه واستحقاقه لذلك بشهادة كل من المكرم
- سالم والمكرم إسحاق والمكرم مصطفى ثبوتا شرعيا على ما ذكر أعلاه
- وذلك في تاسع عشر من شهر جمادى أول سنة خمس وثلثين ومايتين وألف بحضرة سيدنا ومولانا المومي أعلاه وعمل به من تاريخه منعقدا ونافذا به

شهوده

المكرم سالم　　المكرم إسحاق　　المكرم مصطفى

شكل رقم (١) :

خريطة طبوغرافية لموقع وموضع حارة اليهود من أحياء القاهرة المجاورة وحدودها

(نقلاً عن د. محمد رياض– القاهرة نسيج الناس)

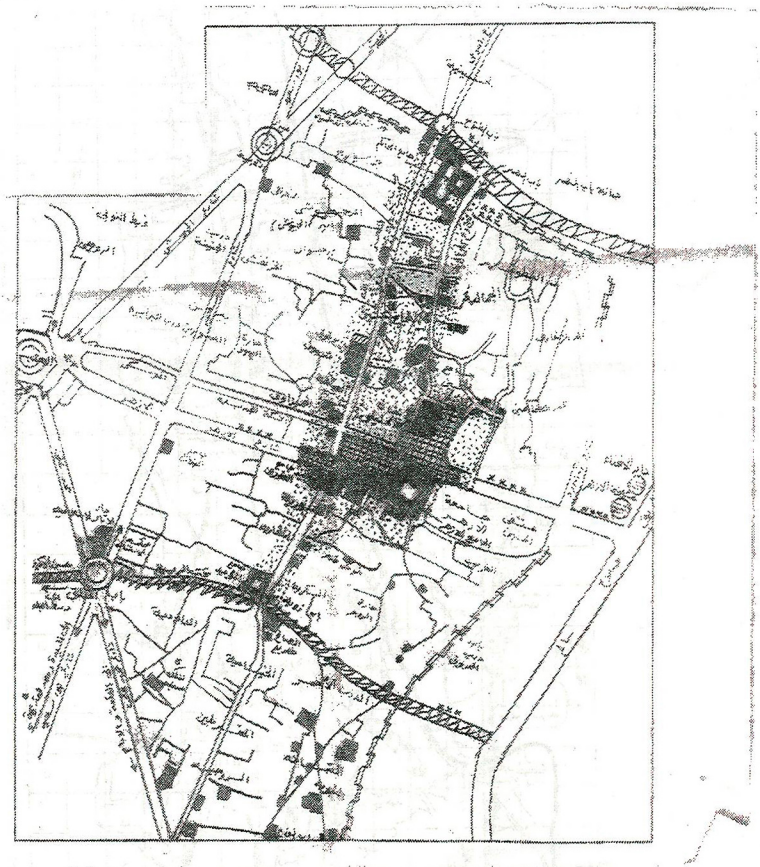

شكل رقم (٢): خريطة طبوغرافية توضح إطلاله حارة اليهود على الخليج المصري بدلالة العمران الاجتماعي والاقتصادي بالمنافذ على الحارات الأخرى والمعابر (القناطر على الخليج).(نقلا عن أندريه ريمون)

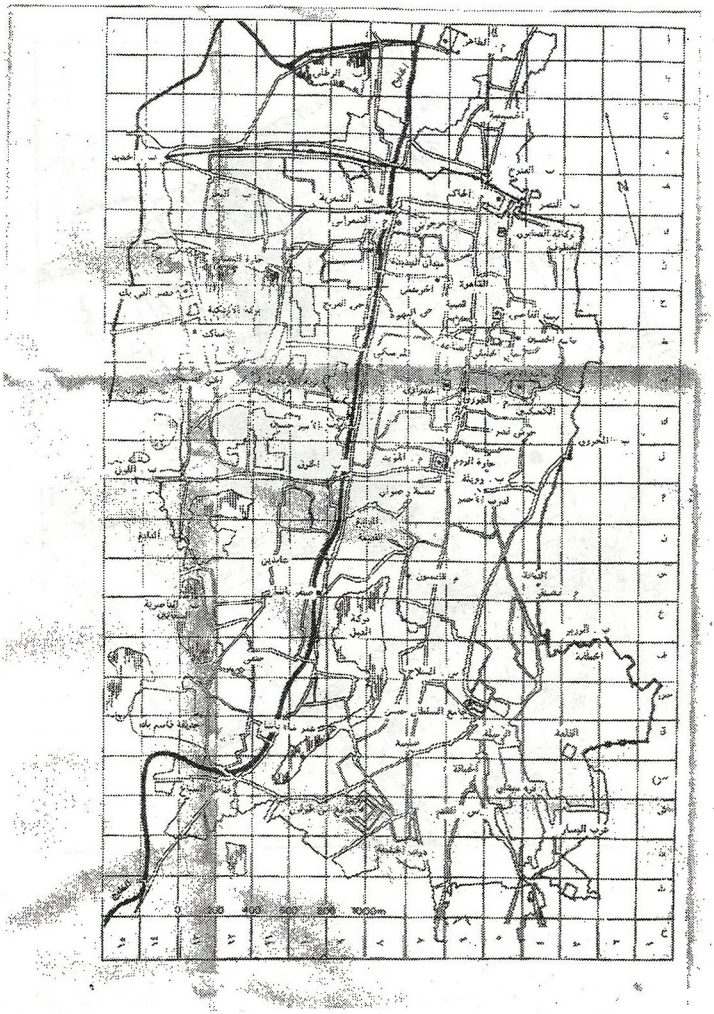

لوحة رقم (١) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: وثيقة استبدال – محكمة الباب العالي– وثيقة رقم (١) الجمالية محفظة (٢) وثيقة ٢١، استبدال مكان بحارة اليهود "قاعة" لجهة (في الصفحة التالية)وقف دير أبي سرجة بمصر القديمة.

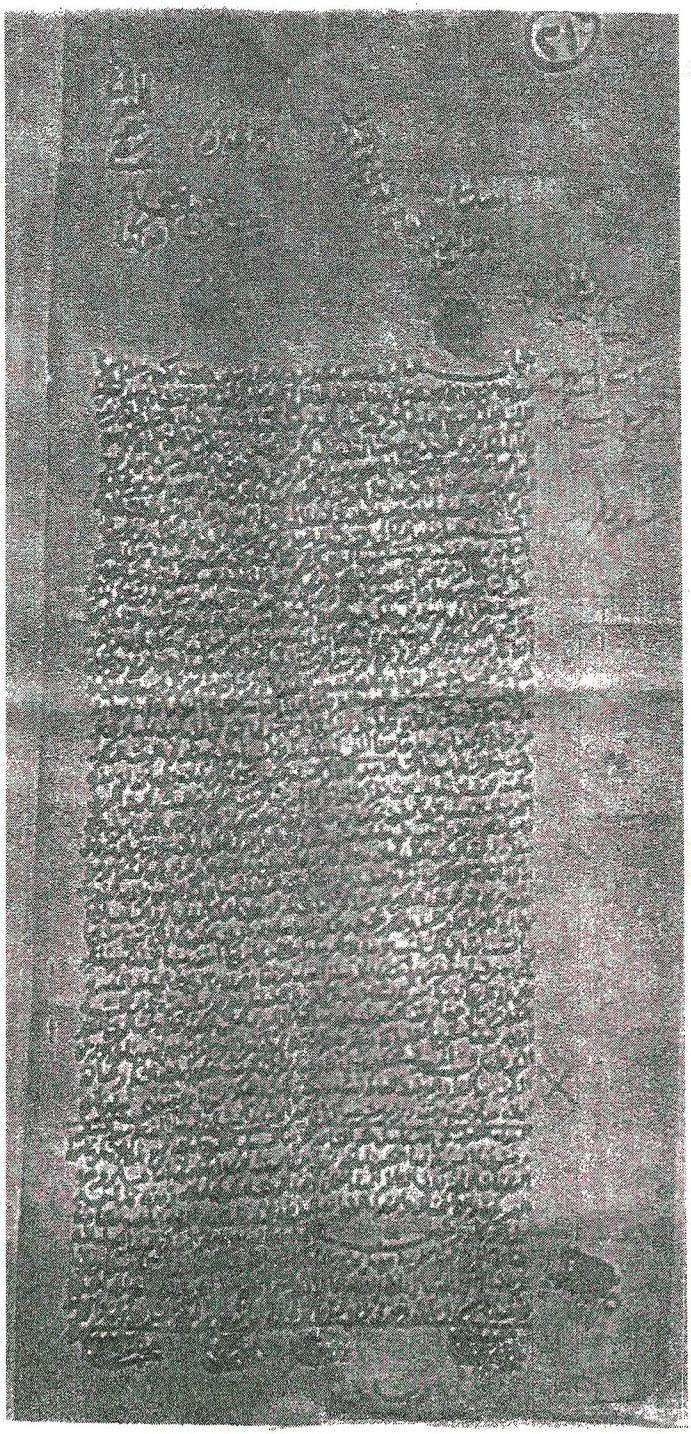

لوحة رقم (٢)

بطريركية الأقباط الأرثوذكس: وثيقة شراء –– وثيقة رقم (٢) الجمالية محفظة (٢) وثيقة ٣١، شراء مكان بحارة اليهود "منزل" لجهة وقف ديري مار جرجس بطرة والبنات بمصر القديمة.

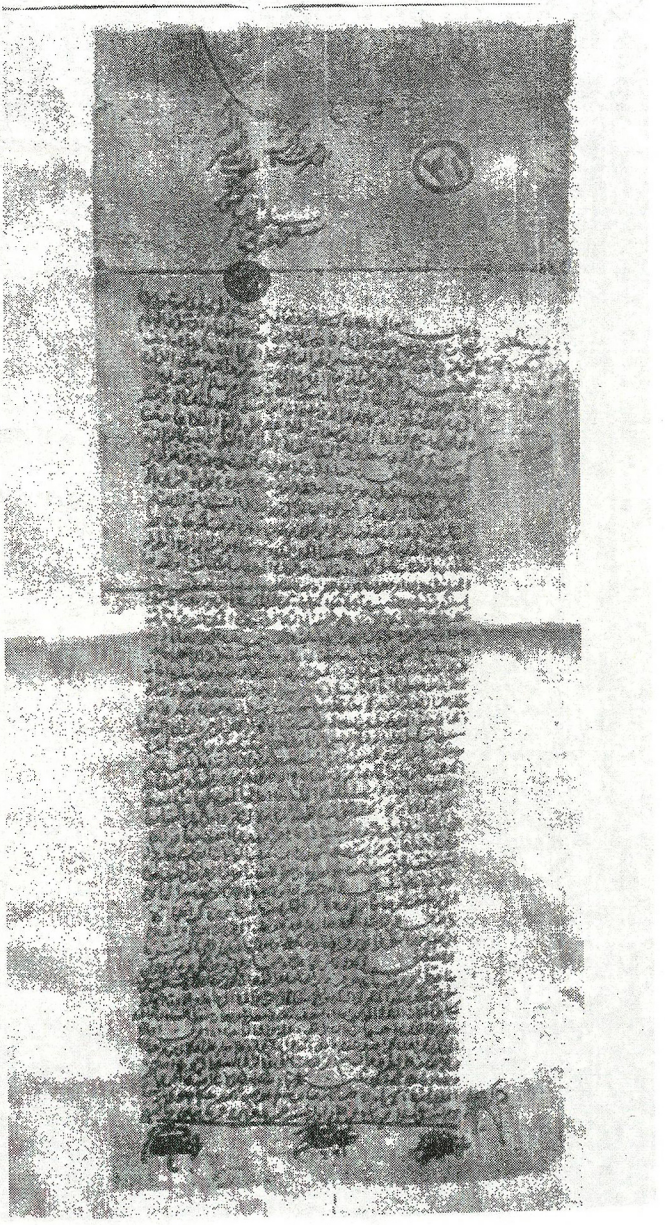

الهوامش

(١) الجمالية: ينسب حي الجمالية- كما يقال- إلى بدر الدين الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، بينما يذهب رأي آخر إلى أن الحي لم يعرف بهذا الاسم إلا نسبة إلى الأمير جمال الدين محمود الاستادار في فترة المماليك الجراكسة بعد أن أنشا مدرسته في هذا الحي سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٩م، فغلبت التسمية على المنطقة المحيطة بتلك المدرسة، عبد الرحمن فهمي: الجمالية "بحث ضمن بحوث" كتاب القاهرة، تاريخها وفنونها- آثارها (مع آخرين)، القاهرة، مطبعة الأهرام التجارية، ١٩٧٠م، ص٥٢.

(٢) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: قسم الجمالية، محفظة (٢)، وثيقة رقم (٢١).

(٣) نفسه، وثيقة رقم (٣١).

(٤) للمزيد عن ذلك انظر: محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (سلسلة عالم المعرفة- ١٢٨)، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

(٥) حارة الجودرية تنسب إلى طائفة الجودرية اختطوها وكان عددهم أربعمائة ومنهم أبو على بن منصور الجودري الذي كان في أيام العزيز بالله الفاطمي، وزادت مكانته في فترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، حيث أضيفت إليه مع الأحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل، المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر- ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار صادر (د.ت)، جـ٢، ص٥.

(٦) عن أماكن تجمعات اليهود، ومعابدهم بمصر القديمة وتحقيق مواقعها، ودور اليهود دينيًا واقتصاديًا واجتماعيًا في الفسطاط، انظر: فتحي عثمان إسماعيل: دراسة آثارية - فنية الباب الأول- الفصل الثاني، والباب الثالث- الفصل الثاني، والباب الرابع- الفصل الأول والثاني، دكتوراه، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٤م.

(٧) Mann, Jacob: Jewsin Egypt and Palestine under the Fatimid caliphs, London, 1970, p. 203.

(٨) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤ –٥.

(٩) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبي البصري البغدادي – ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، طبعة القاهرة، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، ص ١٤٥– ١٤٦، النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب– ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، (د.ت)، جـ٨، ص٢٣٨– ٢٣٩.

(١٠) حارة زويلة: إحدى حارات القاهرة الفاطمية، وتنسب إلى قبيلة زويلة التي اختطتها عقب وصولها من المغرب صحبة جوهر الصقلي كما يذكر المقريزي، أو تنسب إلى امرأة يقال لها زويلة، كما يذكر "ابن تغري بردي"، المقريزي: المصدر السابق، جـ٤، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي– ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، جـ٤، ص٥٢، هامش ٥.

(١١) المقريزي: المصدر السابق، جـ٢، ص٤– ٥.

(١٢) ابن إياس (محمد بن أحمد – ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، بولاق، ١٣١١هـ، جـ١، ص٥١.

(١٣) العاشورية: عرف الزقاق بها، وهي مدرسة انشأتها الست عاشوراء بنت ساروح الأسدي زوجة الأمير أياز كوج الأسدي برحبة كوكاي بحارة زويلة، وأوقفتها على الحنفية، وكانت المدرسة العاشورية هذه داراً للطبيب اليهودي ابن جميع فاشترتها منه وأسستها مدرسة، المقريزي، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٨.

(١٤) ميخائيل شاروبيم: الكافي في تاريخ مصر، جـ٢، ص٣٠٥– ٣٠٦.

(١٥) Gotein: Geniza Documents on the Transfor and Inspection of House, Romm, Numeros, 13-14, 1973, p. 42.

(١٦) عن حارتي الجودرية والوزيرية واتساعهما وتفرعهما: وما بهما من تنظيمات وظواهر عمرانية، وتخطيط كل من الجودرية والوزيرية، انظر: فتحي عثمان إسماعيل: درب سعادة منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثماني- دراسة آثارية- حضارية، ماجستير (غير منشور)، كلية الآثار- جامعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

(١٧) عن الوزير الأجل لقباً انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة ١٩٦٦م، جـ٢، (مادة الأجل).

(١٨) ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف بن حلب- ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م): أخبار مصر، تحقيق هنري ماسيه، القاهرة، ١٩١٩م، جـ٢، ص ١-٢، خلف محمد الحسيني: اليهودية بين المسيحية والإسلام، القاهرة، سنة ١٩٦٤م، ص١٠١، ١٠٢.

(١٩) على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ج٦، ص ٥٦- ٦٥ وما بعدها.

(٢٠) عرفة عبده علي: يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م، سلسلة تاريخ المصريين- ١٨٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٠م، ص١٦٣- ١٦٤.

(٢١) عن الحمزاوي الكبير والصغير وتفرعاته بدرب سعادة، انظر: فتحي عثمان إسماعيل: درب سعادة، (الباب الأول- الفصل الثاني – الاتساعات والتفرعات).

(٢٢) اندريه ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر، القاهرة، طبعة أولى، سنة ١٩٩١م، ص٨٦.

(٢٣) محسن على شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، (سلسلة تاريخ المصريين – ١٩٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، جـ١، ص٥٥-٥٦.

(٢٤) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: قسم الجمالية، محفظة (٢)، وثيقة (٢١)، س ٤.

(٢٥) للمزيد عن توافد اليهود من مختلف دول العالم الإسلامي والأوروبي، انظر: محسن شومان، اليهود في مصر العثمانية، جـ١، ص٥٦ وما بعدها.

(٢٦) المقريزي: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٨.

(٢٧) محسن علي شومان: المرجع السابق، جـ١، ص٨٣، ص١٢٠، هامشي ٣٣٥، ٣٣٦.

(٢٨) للمزيد عن الزوايا ببين السورين، وتغلغل التصوف الإسلامي بتلك الحارة وحارات القاهرة وأقاليم مصر انظر: توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة تاريخ المصريين- ٢١، ٢٢، ١٩٨٨، جـ١، ص٥٦- ٦٠، وما بعدها.

(٢٩) إذا كانت كنيسة العذراء قد شيدت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كنمط من أنماط عمران أهل الذمة بحارة زويلة إلا أنها ذكرت لأول مرة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بمناسبة سيامة أسقف القاهرة في عهد البطريرك مكاريوس (١١٠٢م- ١١٢٨م)، ظلت لفترة ثلاثة قرون وحتى عام ١٦٦١م مقرا بطريركيًا، أبو صالح الأرمني (أبو المكارم جرجس بن مسعود – ت أوائل القرن ٧هـ/١٣م): كنائس وأديرة مصر، تحقيق وترجمة/ "يفتس Evetts" طبعة أكسفودر، سنة ١٨٩٤م، سنة ١٨٩٥، ص ٩٠-٩١، المقريزي: المصدر السابق، جـ٢، ص٥٠٩، ص٥١١.

(٣٠) Burmester, O. H. E: Aguide to the Ancient Coptic Churches of Cairo, Cairo, 1955, PP. 135-136.

(٣١) علي مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٣، ص ٧٣، محمد عفيفي: الأقباط في مصر في العصر العثماني، (سلسلة تاريخ المصريين- ٥٤)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٢، ص٢٠١، هامش (٥).

(٣٢) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: قسم الجمالية، محفظة (٢)، وثيقة رقم ٣١.

(٣٣) القرائين: مشتقة من "قرأ" بمعنى "دعا- نادى- قرأ" وذلك لأنهم لم يؤمنوا إلا بما يقرأ في التوارة، ولم يتقيدوا بما جاء في التلمود، القلقشندي (أبو العباس بن أحمد بن علي – ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة ١٩١٣، ١٩١٧م، جـ١٣، ص٢٥٦.

(٣٤) الربانيين: هم جمهور اليهود، ومن الكلمة العبرية "ربانيم" وتعني الإمام الحبر الفقيه، وذكرت كلمة "رباني" في القرآن الكريم "أنا أنزلنا التوارة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله" صدق الله العظيم، سورة المائدة، آية ٤٤.

والربانيون يتبعون تفسير علماء وفقهاء اليهود للمشناه ككتاب تفسير للتوارة مما أوجد خلافًا بينهم وبين القرائين، مراد فرج: القراءون والربانون، القاهرة، ١٩٨٨م، ٣٦-٣٨.

(٣٥) المقريزي: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٤، أما السامريون: فهي من العبرية "شومرون"، وتعني مملكة يسرائيل والتي بها جبل جريزيم حيث يحج إليه السامريون في عيد الفصح، خلافًا وتلك الطائفة لا تؤمن بأسفار موسى الخمسة ولهم توارة تخصهم دون الربانيين والقرائين، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ٢، ص٢٨-٣٠.

(٣٦) موسى موسى نصير: صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة المكتبة الثقافية- ٤٥٦، سنة ١٩٩٠م، ص١١.

(٣٧) قانون نامة مصر "الذي أصدره السلطان سليمان القانوني لحكم مصر" ترجمه وقدم له وعلق عليه- دكتور أحمد فؤاد متولي.

(٣٨) محسن شومان: المرجع السابق، ص ٧٠.

(٣٩) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: قسم الجمالية، محفظة (٢)، وثيقة رقم (٣١).

(٤٠) للمزيد عن المعابد اليهودية ومشيديها بحارة اليهود انظر: عرفة عبده علي: يهود مصر، ص٣١٧- ٣٢٢، محسن على شومان: المرجع السابق، ص ٦٩- ٧١.

(٤١) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: قسم الجمالية، محفظة (٢)، وثيقة رقم (٢١).

(٤٢) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: قسم الجمالية، محفظة (٢)، وثيقة رقم (٣١).

(٤٣) طيبرس العلائي: هو الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد الله الوزيري الخازندار من أمراء السلطان المنصور لاجين، تقلد وظائف مهمة منها نقابة الجيش بالديار المصرية سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م، وقد أنشأ دُوْرًا في حارة اليهود أوقفها على مدرسته

بالجامع الأزهر، وشيد خانقاه وجامع بمصر القديمة، وله أوقاف كثيرة، المقريزي: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٨٣.

(٤٤) محسن شومان: المرجع السابق، ص ٣٠٨.

(٤٥) عن الأعياد والمناسبات الدينية والاحتفالات لأهل الذمة ومشاركة المسلمين لهم، انظر: فتحي عثمان إسماعيل: حي مصر القديمة، الباب الرابع– الفصل الثالث – المظاهر الاجتماعية.

(٤٦) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: قسم الجمالية، محفظة (٢)، وثيقة رقم (٢١).

(٤٧) محسن شومان: المرجع السابق، ص ٥٨.

(٤٨) المرجع نفسه، ص ٥٧– ٥٨.

(٤٩) الشيرزي (عبد الرحمن بن نصر– ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، بيروت، دار الثقافة (د.ت)، ص ١٧٠– ١٧١.

(٥٠) دار الوثائق القومية، الباب العالي، س ١١٩، ص٢٠، م ٧/١٠٤٢ رمضان سنة ١٠٤٨هـ.

(٥١) بطريركية الأقباط الأرثوذكس: قسم الجمالية، محفظة (٢)، وثيقة رقم (٢١)، ورقم (٣١).

(٥٢) جوربجي: كلمة تركية من الأصل الفارسي (شور) بمعنى لذيذ، وملح، و(با) بمعنى الطعام المطهو، والجوربجي هو ضابط انكشاري، أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل، دار المعارف (د.ت)، ص ٦٦– ٦٧.

(٥٣) البردقيس أو البرتقيس: هي مدينة صغيرة إحدى المدن التركية التي أتى منها يهود إلى مصر ومن ثم إلى حارة اليهود فنسب إليها المعلم خليفة بن المرحوم البرتقيسي أو البردقيسي.

(٥٤) القاعة: هي قاعة الدار وساحتها، والمكان الفسيح، وهي في العمائر السكنية تستخدم في الجلوس والأنشطة الاجتماعية المختلفة، وتتألف من دور قاعة وعدة إيوانات ولها منافع ومرافق ولواحق وملاحق.

(٥٥) كوملي: هي طائفة جمليان تستخدم الجمال والإبل في ركوبها وقت الحاجة.

(٥٦) هذا المنزل الكائن بالدرب الأسود بحارة السمرة والتي كانت جارية في وقف الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد الله على مدرسته التي بناها سنة ٧٠٧هـ بالأزهر الشريف وهي من ضمن موقوفات المسلمين، فقد استخدمت القاعة المذكورة في النص الوثائقي معبدا لطائفة القرائين، ثم السامرة إلا أنها آلت بالشراء إلى جهة وقف ديري مار جرجس بطره والبنات بمصر القديمة؛ مما يدل على قاعدة استغلال توارث أهمية الموقع من جهة وموقف بعض الفقهاء المسلمين بمشروعية الوقف من جهة اليهود والنصارى.

(٥٧) جمعها سوابيط، وساباطات، والساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق، وقد يكون السباط محمولا على أعمدة وأكتاف، ويحمل فوقه ممرا بين منزلين أو وحدتين سكنيتين، الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي- ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م): القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، جـ١، ص٩٠٣.

(٥٨) "حجر كدان" وهو نوع من الأحجار الجيرية ذات كتل صغيرة تهذب وتنحت من جوانبها الأربعة لتصبح ملساء كفصوص الماس، محمد مصطفى نجيب، مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها، دكتوراه - كلية الآثار - جامعة القاهرة، ١٩٧٥، مج٣، الملحق الوثائقي، ص١٦٤.

(٥٩) إيوان: كلمة فارسية الأصل، من معانيها، الصفة العظيمة والشرفة، والقسم المسقوف من ثلاثة أطراف مفتوح من واجهته الثالثة ويطل على الصحن أو الدور قاعة بعقد وسقفة إما معقود أو مسطح، محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ص١٧.

(٦٠) أي حجرة للنوم، سجلات محكمة الباب، سجل رقم ٥٤٠، ص ٢٨٢، وثيقة ٢٣٨، تاريخ ٢٩ شعبان ١٢٩٨.

(٦١) أغاني أو مغاني: وهي عبارة عن ممرات علوية ذات مقاعد خلف نوع من المشربيات المصنوعة من الخشب الخرط تحجب الجالس خلفها وتطل على الدور قاعة أو الصحن، محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص١٥.